(20) ولقد تعجل بعض النقاد من المستشرقين، حين ألموا بهذه الدلائل النفسية، والإمارات الشكلية الخارجية التي لا تنتاب الوعي إطلاقا، ولا تؤثر على الإدراك في حال، فاعتبروها ـ مخطئين ـ أعراضا للتشنج تارة، وللإغماظ تارة أخرى. " وهذا الرأي يشمل خطأ مزدوجا حين يتخذ من هذه الأغراض الخارجية مقياسا يحكم به على الظاهرة القرآنية بمجموعها، ولكن من الضروري أن نأخذ في اعتبارنا قبل كل شيء الواقع النفسي المصاحب، الذي لا يمكن أن يفسر أي تعليل مرضي... فإذا نظرنا الى حالة النبي صلى ا عليه واله وسلم وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن ؛ بينما يتمتع الرجل بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، بحيث يستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمة نفسها، على حين يمحى وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة، فالحالة ـ إذن ـ ليست حالة تشنج. هذا التلازم الملحوظ بين ظاهرة نفسية في أساسها، وحالة معينة، هو الطابع الخارجي المميّز للوحي " (1). وهكذا كان لظاهرة الوحي عند بعض المستشرقين تفسيرات خاطئة أملاها حقد ودجل وافتراء، فقد كان الوحي على حد زعمهم أثرا لنوبات الصرع التي تعتري الرسول الأعظم صلى ا عليه واله وسلم فكان يغيب عن صوابه، ويسيل منه العرق، وتعتريه التشنجات، وتخرج من فيه الرغوة، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحي إليه، وتلا على المؤمنين به ما يزعم أنه وحي من ربه (2). ومع ما في هذا الزعم من الكذب المضحك، والغض المتعمد من منزلة النبي صلى ا عليه واله وسلم الرسالية، فالطريف أن ينبري له المستشرقون أنفسهم، لا سيما هنري لامنس، وفون هامر، وأمثالهما، للرد عليه، إلا أن في طليعة هؤلاء جميعا السير وليم موير (1819 م | 1905 م) (3). لقد فند هذا الباحث المحايد في كتابه (حياة محمد) مزاعم الجهلة الحاقدين، وعقب على ظاهرة الوحي وأعراضها الخارجية بقوله: " وتصوير

_____ (1) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية: 182. (2) ظ: بكري أمين، التعبير الفني في القرآن: 18. (3).(Muir William Sir , Mohammad of life , p. (14-29